المحور الثالث: السياق المكاني(2)(المكي والمدني).

لقد سبق لنا أن قلنا إن القرآن الكريم قد نزل عبر مرحلتين اثنتين، إحداهما: عاشها النبيّ – صلى الله عليه وسلم – في مكة، وهي المرحلة المكية، وسمّي ما نزل من قرآن في هذه المرحلة **قرآنا مكيا** عند الباحثين في هذا التخصص. وأما الأخرى: وهي المرحلة المدنية التي عاشها النبي – صلى الله عليه وسلم – في المدينة المنورة، وسمّي ما نزل من قرآن في هذه المرحلة **قرآنا مدنيا**، فصار المصطلحان يدلان في عرف الباحثين عند سماعهما على القرآن النّازل في هاتين المرحلتين.

1 – فائدة تقسيم القرآن إلى مكي ومدني:

يستفاد من تقسيم القرآن إلى مكي ومدني بعض الفوائد العلمية التي نوجزها على النحو الآتي:

1 – 1 – إن الاطلاع على تقسيم القرآن إلى مكي ومدني يمكّن المتدبّر لهذه المسألة من معرفة الناسخ والمنسوخ، وهو وثيق الصلة بتفسير القرآن والوقوف على مقاصده وأحكامه.

1 – 2 – إن معرفة المكي والمدني في القرآن تعين الباحث على معرفة مواقع النزول، وذلك سبب كبير في الكشف عن أسباب نزول الآيات والسور.

1 – 3 – هذا الضرب من المعرفة (معرفة المكي والمدني) يكشف عن مجريات السيرة النبوية، ويزيد في وضوحها واستجلائها للباحثين والمؤرخين الذين يبحثون عن حياة النبي – صلى الله عليه وسلم – ليتسنّى لهؤلاء أن يقفوا على ذلك من خلال دراسة الآيات والسور المكية والمدنية.

2 – معرفة المكي والمدني:

لقد اختلف الباحثون في علوم القرآن في كيفية معرفة القرآن المكي وتمييزه عن القرآن المدني؛ فكل طائفة تحدد معايير خاصة بها يعرف المكي عن المدني، وهو ما جعلنا نتغاضى عن ذكر مفهوم **المكي والمدني** لهذا السبب الوجيه. ويمكن تلخيص مذاهب الباحثين في ضبط المكي والمدني على النحو الآتي:

2 – 1 – المـذهب الأول: ويعـوّل أصـحاب هـذا المـذهب في معرفـة المكـي والمـدني علـى العامـل الـزمني؛ فـالمكي مـا كـان نزولـه قبـل الهجـرة، والمـدني مـا كـان نزولـه بعـد الهجـرة، سـواء أكـان نزولـه بمكـة أم بالمدينة.

2 – 2 – المـذهب الثـاني: ويعـوّل أصـحاب هـذا المـذهب في معرفـة المكـي والمـدني علـى العامـل المكاني،

فـالمكي مـا كـان نزولـه بمكـة ولـو كـان ذلـك بعـد الهجـرة. أمـا المـدني فهـو مـا نـزل بالمدينـة ولـو كـان ذلـك قبـل الهجـرة. ويترتـب علـى ذلـك أمـران اثنـان، أحـدهما: أن مـا نـزل بالأسـفار لا يكـون مكيـا ولـو كـان ذلـك بعـد الهجـرة، كالـذي نـزل علـى النـبي – صـلى الله عليـه وسـلم – بتبـوك أو بيـت المقـدس. وأمـا الآخـر: وهـو أن مـا نـزل بمكـة بـع الهجـرة يعـدّ مكيـا، علمـا أنـه ينـدرج تحـت مكـة ضـواحيها مثـل: مـنى وعرفـات والحديبيـة. وأما المدينة فيندرج تحتها بدر وأحد وغيرهما.

2 – 3 – المـذهب الثالـث: ويعـوّل فيـه أصـحابه علـى نوعيـة المخـاطبين؛ فمـا كـان خطابـا لأهـل مكـة فهـو مكـي، ومـا كـان خطابـا لأهـل المدينـة فهـو مـدني، وذلـك بغـض النظـر عـن الزمـان والمكـان الـذي نزل فيه.

3 – السور المكية والسور المدنية:

أمـا عـدد السـور القرآنيـة كلهـا فهـو أربـع عشـرة سـورة بعـد المائـة مـابين مكـي ومـدني ومـا هـو موضـع خـلاف. أمـا السـور المكيـة فـإن عـددها اثنتـان وثمـانون سـورة. وقـد آثرنـا عـدم ذكـر السـور المكيـة لكثرتهـا. وأمـا السـور المدنيـة فهـي عشـرون سـورة: البقـرة، آل عمـران، النسـاء، المائـدة، الأنفـال، التوبـة، النـور، الأحـزاب، محمـد(القتـال)، الفـتح، الحجـرات، الحديـد، المجادلـة، الحشـر، الممتحنـة، الجمعـة، المنـافقون، الطلاق، التحريم، النصر. وبذلك يكون بقية السور – وهي موضع الخلاف – اثنتي عشرة سورة.

أمـا السـور المختلـف فيهـا وهـي اثنتـا عشـرة سـورة: الفاتحـة، الرعـد، الـرحمن، الصـف، التغـابن، المطففون، القدر، البينة، الزلزلة، الاخلاص، الفلق، الناس.

4 – ضوابط القرآن المكي:

ونعني بضوابط القرآن المكي: الخصائص التي تميّز القرآن المكي عن القرآن المدني، لأن ما نزل بمكة يختلف خطابه من حيث المحتوى عمّا نزل بالمدينة. لذلك تكون ضوابط معرفة القرآن المكي على النحو الآتي:

4 – 1 – كل سورة فيها الخطاب موجّه للناس كافة كقوله تعالى:"يا أيها الناس" فهي مكية على الغالب، لأن القرآن المكي يخاطب الناس جميعا – باختلاف أديانهم – بعبادة الله وحده.

4 – 2 – ما كان فيه قوله تعالى: "يا بني آدم" فهو مكي، فهذا النّداء يذكّر بالأصل الأول الذي ينتمي إليه الإنسان.

4 – 3 – كلّ سورة جاء فيها بيان حال النبيّين أو الأمم السابقة والقرون الأولى فهي مكية، وذلك أمر تقتضيه طبيعة الدعوة الإسلامية في تلك المرحلة؛ فهذا البيان تذكير للمسلمين بما عاناه الأنبياء من قبل مع أقوامهم، لتثبيتهم على هذا الدين الجديد الذي أوذوا فيه.

4 – 4 – كلّ سورة وردت فيها "**كلّا** " فهي مكية، لأن هذه الكلمة تفيد الردع، وهي تناسب الرد العنيف على المشركين. والردّ عليهم يناسب القرآن المكي الذي يخاطب مجتمع الشرك والوثنية، وهو الدين الذي استقرّت عليه العرب قبل مجيء الإسلام.

4 – 5 – كلّ سورة وردت فيها "**سجدة**" فهي مكية؛ والسجود لله هو تحقيق العبودية الخالصة للمولى سبحانه وتعالى، وأمرٌ من الله عزّوجل للناس بالسجود له لا لغيره.

4 – 6 – كلّ سورة مبدوءة بحروف التهجّي مثل: **ألم/ كهيعص/ حم عسق/ طسم**/ فهي سورة مكية، سوى سورتيّ البقرة وآل عمران.

4 – 7 – كلّ سورة يقع فيها التركيز على أمور العقيدة والتوحيد وأركان الإيمان كاليوم الآخر والنبيين فهي مكية، لأن القرآن المكي جاء تصحيحا للعقيدة الوثنية التي يدين بها العرب، وتذكيرا للناس بعبادة الله وحده.

4 – 8 – من أهمّ ضوابط الآيات المكية وخصائصها القصر في المقاطع.

5 – ضوابط القرآن المدني:

5- 1 - كلّ سورة ورد فيها النداء للمؤمنين:(**يا أيها الذين آمنوا**) فهي مدنية، وذلك لهيمنة المسلمين على غيرهم من الملل الأخرى التي كانت تعيش في المدينة، فباتوا مخاطبين قبل غيرهم بهذا النّداء في مدينة رسول الله؛ لأن هذه الأخيرة كانت تضمّ - إضافة إلى المسلمين - أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمنافقين.

5 - 2 - كلّ سورة نزلت فيها أحكام الفرائض والحدود والقصاص والجهاد في سبيل الله فهي مدنية، لأن هذه التكاليف لم تفرض في مكة حين كان الإسلام جديداً على أهلها، ولكن بعد استقرار الإيمان في القلوب جاء التكليف بهذه الأحكام ...

5 - 3 – كلّ سورة ورد فيها ذكر المنافقين فهي مدنية، إذ لا نفاق في مكة وهي بلد الشرك والمشركين، فالنفاق ظهر في المدينة عندما برز عزّ الإسلام و قوي سلطانه...

5 - 4 - كلّ سورة ورد فيها الردّ على أهل الكتاب ومخاصمتهم فهي مدنية؛ إذ إن أهل الكتاب لم يكن لهم وجود في مكة، فلا داعي للحديث عنهم...

5 - 5 - كلّ سورة تتضمن آيات تتعلق بالأحكام الشرعية كالعبادات والمعاملات والأحوال الشخصية مثل: الزواج والأسرة والعلاقات الاجتماعية فهي مدنية...

5 - 6 - السورة المدنية تتميز في الغالب بطول الآيات، لأنها تحتوي على مسائل الشرع في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومثل هذه القضايا يقتضي طولا في العبارات وامتدادا في المقاطع...